من أعلام القضاء

الشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن الجاسر

أول رئيس لهيئة التمييز بمكة المكرمة

إعداد: حمد بن عبد الله بن خنين

لو كان يخلد بالفضائل فاضل وصلت لك الآجال بالآجال

من الرجال من إذا تولّى وغاب غياباً أبدياً، وأضمرت جسمه الحفر في باطن الأرض، فإن ذكره ما يلبث أن يتلاشى ويُمسح من ذاكرة الزمن شيئاً فشيئاً حتى ينسى، على حين من كانت له آثار ينتفع بها في مجتمعه وفي محيطه الأسري من علم ينتفع به، أو عمل صالح مشرف، وبذل في أوجه البر والإحسان، وصلة الأرحام والإحسان للضعفة منهم، فإنه يسود في مجتمعه، ويظل ذكره طرياً نديا يلذ للأسماع على تعاقب الدهور والعصور حتى ولو بعد الممات، ولقد أجاد الشاعر حيث يقول حاثاً على البذل السخي للأقربين:

وإذا رزقت من النوافل ثروة فامنح عشيرتك الأقارب فضلها

ونحمد الله أنهم في هذا العصر كثر رجالاً ونساء يتنافسون في الأعمال الخيرية رجاء المثوبة من رب البرية، وتخليداً لذكراهم بعد الرحيل إلى دار المقام، وهذا يذكرنا بشيخنا وحبيبنا المعطرة سيرته بالثناء والذكر الحسن.

هذا العالم الجليل حفظ القرآن لما بلغ أربع عشرة سنة ثم اشتغل بطلب العلم وقد وهبه الله فهماً ثاقباً وقوة في الحفظ وفراسة في الأحكام، تولى القضاء في المستعجلة بمكة ثم تعين في الطائف، ثم تعين في قضاء المدينة المنورة وأقام فيها قاضياً ثم صدر أمر الملك عبد العزيز رحمه الله برئاسة القضاء عضواً ثم صدر أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بأن يكون معاوناً لرئيس القضاة بمكة ثم مساعداً لرئيس القضاة في مكة ولما أنشئت هيئة التمييز للأحكام تعين عضواً فيها ثم رئيساً وكان آية في مكارم الأخلاق، عالي

الهمة، طويل الأناة، طيب المعشر. إنه علم من أعلام القضـاء ومنارة من منارات العلم ،له رسائل ومسائل ومؤلفات مفيدة ،رحم الله شيخنا وأسكنه فسيح جناته.

اسمه ومـولـده

ولد هذا العالم الجليل في بلد أشيقر (من أعمال الوشم) في شهر محرم سنة ١٣٢٣ هـ، ورباه والده أحسـن تربية ولما بلغ من العمر سبع سنين جعله عند مقرئ يسمى عبد الرحمن بن موسـى يعلمه القرآن الكريم ولما بلغ من العمر أربع عشرة سنة حفظ القرآن المجيد.

مشـايخـه

ثم اشتغل بطلب العلم لدى شيخه إبراهيم بن صالح بن عيسى من بلد أشيقر ولازمه ملازمة تامة وكان ابتداء طلبه العلم لدى شيخه إبراهيم المذكور سنة ١٣٣٦ هـ، ولا زال يقرأ عليه في كثير من الفنون قراءة بحثٍ وتحقيق إلى سـنة ١٣٤٢ هـ، ومن الكتب التي قرأها على شـيخه في أول الطلـب (مجموعة التوحيد) ثم بعـد إكمالها قرأ عليه فتح المجيد ثم شرح الدليل وشرح الزاد وشرح الشينشوري مع حاشية إبراهيم الباجوري في الفرائض كرره قراءة على شـيخه عشر مرات تقريباً وفي اللغة العربية شرح الشيخ خالد على الأجرومية ثم متممة الأجروية وشرحيهما للأهدل والفاكهي، ثم شرح القطر ثم قرأ عليه شرح المنتهى للشـيخ منصـور البهوتي قراءة بحث وتحقيق وتفهم وتدقيق وأكمل دراسـته عليـه مرتين وعلق رحمه الله علـى شرح المنتهى على نسـخته الخطية أثنـاء الدرس والمطالعة حاشـية حافلة تحتوي على فوائد نفسـية ومباحث غزيرة وهي باقيـة حتـى الآن لم تجرد ولو جردت لجـاءت في مجلدين وليتها تجـرد لأن الكتابة قد استغرقت جميع مواضع البياض ويخشـى من انقطاع أطراف الورق فتذهب الفائدة

بفقدان بعض الكلمات. وقرأ على شيخه في العروض كتاب الجدول الصافي في علمي العروض والقوافي وقرأ عليه الجزرية وشروحها لابن المصنف والشيخ زكريا الأنصاري وغيرهما وقرأ عليه أطرافاً من الكتب الستة وتفسير القرآن العظيم وغير ذلك من الفنون وقد أجازه بسنده للرواية عنه وبعد رحيل شيخه إبراهيم إلى عنيزة رحل إلى مكة فاستوطنها سكناً له وقرأ على علماء الحرم المكي ولازمهم وتضلع في العلم فكان فقيهاً لا يجارى وقد وهبه الله فهما ثاقباً وقوة في الحفظ وفراسة في الأحكام، ومن العلماء الذين درَّسوه الشيخ سعد وقاص البخاري من علماء مكة المكرمة. ومن مشايخه العالم العلامة البحر الفهامة السلفي الشيخ محمد الطيب الأنصاري المدني رحمه الله فقرأ عليه قراءة بحث وتحقيق وقد خصص له مجلساً للقراءة عليه وقد استفاد منه علماً كثيراً وقد أجازه جماعة من العلماء الأعلام والأجلاء الكرام منهم العلامة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن حمد العيسى.

الكتاتيب والتعليم في زمنه

لم يكن هناك مدارس نظامية ولم يكن هناك مبان أو معلمون يقومون بالتدريس كما هو عليه الآن ولكن العلم مطلوب في كل زمان ومكان حسب الاستطاعة لمن يرغب فيه وربما كانت الظروف أقوى من الرغبة وحرمت المتعلم من طلب العلم لأي سبب وأهمها الظروف الاقتصادية وعدم الاستطاعة في دفع التكاليف والحاجة لهذا المتعلم للعمل ومساعدة والديه وإطعام نفسه وأحياناً أهله معه. ومن ذلك نشأت مدارس الكتاتيب أقلام وألواح ومحبرة وحلقات من الطلاب يقوم بتعليمهم رجل واحد. من هذه المدارس في أشيقر:

١-المدرسة الأولى: مدرسة غرب مسجد الفيلقية. عبارة عن غرفة ١٠ في ١٠ م تقريباً

فرشت بالحصباء يقوم بالتدريس فيها أحد المتعلمين.

٢-المدرسة الثانية: مدرسة المسجد الشمالي وتقع في غرفة في أعلى المسقاة بناها عثمان أبا حسين ودرس فيها عام ١٣٦٠ هـ. وقد كان للتعليم مرحلتان الأولى التدريس للمبتدئين من الصغار ممن يتعلمون القراءة والكتابة وحفظ وتلاوة القرآن الكريم ومعهم أدواتهم الدراسية. الثانية: هي للمتقدمين في العلم وهي حلقات المشايخ لمن يرغبون في مواصلة التعليم وهذه أشبه ما تكون بالتعليم الجامعي أو العالي.

من المعلمين القدامى الذين درّسوا في زمن الكتاتيب في هذه المدارس عبد الرحمن ابن عبد اللطيف بن موسى، محمد بن عبد الرحمن بن موسى، عبد العزيز بن فنتوخ، موسى بن عبد الرحمن بن مون بن عبد الرحمن أبا حسين،واستمرت هذه المدارس وغيرها من المدارس قبلها تنشر العلم حتى افتتح التعليم النظامي والمدارس الحكومية وذلك في عام ١٣٦٩ هـ كأول مدرسة ابتدائية حكومية بمعلميها ونظامها الذي أنهى بعده عهد الكتاتيب. ثم افتتحت بعد ذلك المدرسة المتوسطة والثانوية واكتمل التعليم بمراحله الثلاث. وكان أول مدير لمدرسة أشيقر الابتدائية هو الشيخ عبد العزيز بن سليمان الفريح. وقد كان مقرها بجوار مسجد الفيلقية في البلدة القديمة في بيت من الطين وبعدها انتقلت إلى مبنى حكومي .

وقد ذكرها الشاعر مضرس بن ربعي الأسدي فقال:

تحمل من وادي أشيقر حاضرة ... وألوى بريعان الخيام أعاصره

ولم يبق بالوادي لأسماء منزل ... وحوراء إلا مزمن العهد دائرة

ولم ينقص الوسمي حتى تنكرت ... معالمه واعتم بالنبت حاجره

فلا تهلكن النفس لوماً وحسرة ... على الشيء سدّاه لغيرك قادره

وذكر بعض معالم أشيقر الشاعر ناهض بن تومة الكلابي سنة ٢٢٠ هـ:

فما العهد من أسماء إلا محله كما خط في ظهر الأديم الرواقش

برمحين أو بالمنحى دب فوقها سقا الريح أو جزع من السيل خادش

يقول الشيخ محمد بن مانع عند ما زار مدينة أشيقر حيث كان في ذلك الوقت مديرا للمعارف قبل إنشاء وزارة المعارف وعندما غادرها التفت إلى بوابة السور قائلاً: (الله أكبر كم خرج من هذه الدروازة من عالم) يعني بذلك الكم الكثير من الأدباء والقضاة والمعلمين وطلبة العلم الذين خرجوا من أشيقر لنشر العلم أو للاستزادة في طلبه من البلدان الأخرى.

وقال الشيخ حمد الجاسر: (في القرن العاشر كانت مدينة أشيقر الواقعة في إقليم الوشم من أبرز مدن نجد وأشهرها من حيث كثرة العلماء الذين تولوا مناصب القضاء في مختلف مدن وقرى نجد). ولقد انتشر أبناؤها ممن تعلموا في هذه المدينة في أنحاء المملكة محققين مراكز مرموقة لهم وناشرين ما تعلموه من علوم للآخرين.

عمله في القضاء

في صفر سنة ١٣٥٠هـ، تولى القضاء في المستعجلة بمكة ثم تعين في الطائف وذلك في سنة ١٣٥٥هـ، ثم تعين في قضاء المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وذلك سنة ١٣٥٦هـ، وأقام فيها قاضياً سبع سنين ثم صدر أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بنقله إلى مكة في أول عام ١٣٦٣هـ، وأن يكون برئاسة القضاء عضواً وسكرتيراً ثم صدر أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بأن يكون معاوناً لرئيس القضاة بمكة ثم مساعداً لرئيس القضاة في مكة ولما أنشئت هيئة التمييز للأحكام تعين عضواً فيها ثم رئيساً لها حتى أحيل على التقاعد لإكماله السن النظامية في ١-٧-٩٣ هـ، بموجب القرار رقم

٢٦٩٧ في ٢٥-٦-٩٣ هـ، فتجرد للعبادة ونفع الخلق الكثير.

مكانة بلدة أشيقر العلمية

لا توجد أخبار كثيرة عن نجد في الفترة التاريخية الممتدة من القرن الرابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري إلا بعض الوثائق الشخصية التي تكشف جانباً من أحوالها لابتعادها عن مجريات الأحداث بعد انتقال الخلافة من المدينة المنورة إلى الشام والعراق وبعدها عن طرق قوافل الحجاج، ومع ذلك فإن الدلائل التاريخية تشير إلى أن أهل أشيقر كانت لهم صلتهم بالعالم الخارجي، فكان هناك اتصال بين علمائها وعلماء الحرمين الشريفين، كما كان لأهلها رحلات مبكرة لطلبة العلم في الشام والعراق، هيأت لها علماء كان لهم إسهامات كبيرة في نشر العلم والمذهب الحنبلي، ولم يتجاوز الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري الواقع عندما وصف أشيقر بأنها "رمانة محشوة بالعلماء، يرحلون في الآفاق، ويرحل إليها أهل الجزيرة، ويتلقون عنهم"... ولا عجب فقد غدت أشيقر مركزاً علمياً رئيساً في نجد طوال ثلاثة قرون هي: القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر بعد أن توافر لها علماء كثر، قيل: إنهم كانوا يمثلون نصف علماء نجد، حتى كان الطلبة من نجد يفدون إليها لتلقي العلوم من هؤلاء العلماء الذين كان بعضهم يتولى أمور القضاء والفتوى والتدريس في مناطق نجد المختلفة وكان لهم دور كبير في بروز مراكز علمية بها مثل بلدتي مقرن (الرياض) والعيينة في القرن الحادي عشر، وبلدتي المجمعة في سدير وعنيزة في القصيم في القرن الثاني عشر.

مؤلفاته

له من المؤلفات (كتاب مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام، وحاشيته على المنتهى وشرحها علقها أثناء الدرس وفي أوقات المطالعة وهي

باقية على الهامش لم تجرد وقد تقدم ذكرها، وله فوائد في الفقه الحنبلي لا تقل عن ستة كراريس وله رسالة سماها تنبيه النبيه والغبي فيما التبس على الشيخ المغربي ألفها في المدينة المنورة في آخر شعبان سنة ١٣٥٨هـ، رد فيها على شيخ مغربي أنكر تكليم الله لموسى وزعم أن جبريل أظهر لموسى كلام الله من اللوح المحفوظ وهذا اعتقاد مبدع خلاف ما عليه أهل السنّة والجماعة من أن الله جلَّ وعلا كلم موسى حقيقة بكلام سمعه موسى من الله تقدس وعلا وتتضمن الرسالة سماع جبريل عليه السلام القرآن الكريم من رب العزة والجلال والإكرام وأن الله يتكلم إذا شاء بصوت. ولشيخنا رسالة في وجوب السمع والطاعة لولي أمر المسلمين وإن جار ما لم يأمر بمعصية ألفها في بلد شقراء في ٢٥-٨-١٣٤٧ هـ، وألفت لمناسبة حصلت حين ذاك وهي رسالة مفيدة، وله غير ذلك من الرسائل والمسائل.

صفاته وأخلاقه

كان فارع الطول، أبيض اللون، صبيح الوجه، يصفّر لحيته، كثير شعر الرأس، أبطن، واسع العينين، مقرون الحاجبين، أقنى الأنف، جميل الهيئة، وكان شجاعاً، وكان من الفضلاء النجباء، الكبار، الخيار ، سريع الإجابة إذا دعي إلى الخير حتى حينما تقدمت به سنه، وكان يقول في ذلك : أبت علينا سورة البحوث انفروا خفافاً وثقالاً. وكان إلى جانب ذلك رفيع الخلق، عالي الهمة، طويل الأناة، طيب المعشر . وكان آية في مكارم الأخلاق.

وفاته

توفى رحمه الله في ١٠-٢-١٤٠١ هـ، له من الأبناء عبد العزيز وإبراهيم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.